المرأة والرجل وهل يتساويان

لجناب الدكتور شلي شميل

(تابع ما قبله)

وحكى بوشت ان النساء في السودان يشبهن الرجال في الصورة وذكر غيره عن غيرهم ما يضاهي ذلك مما يستفاد منه ان اختلاف الصورة الظاهرة بين الرجل والمرأة يكون اقل كلما كان الشعب أدنى . وما هو كائن اليوم في القبائل السافلة الحاضرة كان ايضاً في القبائل السافلة الغابرة . ومما ذكره دلوني دليلاً على ذلك ان بعض الشعوب في القديم كان النساء يحكمن عليهم كسميراميس وكليوبترا وزنوبيا الخ . ونحن وان كنا نعتقد صحة القاعدة وهي ان تغلب الرجل على المرأة من ضروريات الارتقاء والضد بالضد انما لا نعتقد صحة الاستشهاد الذي أتي به عن الملكات المذكورات لانه لا يبعد ان تكون سيادتهن قد استتبت لهن لاسباب أخرى إما لارث ملوكي و إما لنبوغ غير اعتيادي وقيامهن بعبء الملك ليس دليلاً قاطعاً على ان كل نساء شعوبهن كن ارقى من رجالهم والا لوجب ان نطلق هذا الحكم على ضيوفنا الذين تحكم عليهم ملكة وهم ارقع جداً من ان يوصفوا في المقام الذي يضعهم فيه هذا القول بل هم ارفع من كل شعب آخر وهم السابتوت في مضمار الارتقاء البشري بلا منازع . وذكر ديودوروس ان رجال الصقالب ونساءهم في القديم كانوا متشابهين وبخلاف ذلك اليونان والرومان فان الفرق بين الرجل والمرأة عندهم كان عظيماً جداً جسدياً وعقلياً

والغريب ان نساء الاجيال التي عاشت قبل التاريخ كانت نسبة سعة جمجمتهن اعظم منها في نساء اليوم . قال بروكا وهذا يظهر منه ان المرأة كانت في ذلك العهد تقاسم الرجل الاعمال اكثر منها في هذا العهد . والخلاصة مما تقدم ان امتياز المرأة على الرجل قد يُرى احياناً في الشعوب السافلة الحاضرة والغابرة ولكنه لا يُرى البتة في الشعوب العالية وانما يُرى فيهم عكس ذلك اي امتياز الرجل على المرأة دائماً

ولنتقدم الآن الى النظر في المسألة من حيث الأسنان . وهنا نجد ايضاً نفس النتيجة التي وجدناها في الفروع والانواع اعني ان الاناث يتزن على الذكور امتيازاً الى أجَلٍ في اول سني العمر ثم يحتتم الفوز بعد ذلك لهؤلاء . فقد ذكروا ان البنات يفقن الصبيان في الطول من

سن ١٠ الى ١٥ سنة . وبعض الانثروبولوجيين زعموا ان البنت من سن ١٠ الى ١٢ تكسب رطلاً اكثر من الصبي في السنة . واما بعد السنة السابعة عشرة فالاناث يقفن والذكور يستمرّون على النموّ . والحال كذلك ايضاً في العقل ففي المدارس التي يجتمع فيها الصبيان والبنات معاً رأوا ان البنات لغاية سنّ اثنتي عشرة سنة يسبقن الصبيان ويفقنهم ذكاء واما بعد ذلك فالصبيان هم السابقون

ويستفاد مما تقدّم ان المرأة في النموّ أسبق من الرجل جسديًّا وعقليًّا وادبيًّا وهذا ما حمل بعضهم على ان يظنها اعقل منه . وقد علّل بوفون الطبيعي الفرنساوي ابطاء الرجال بقوله "ان الرجال لما كانوا اكبر واقوى من النساء اعني لما كان بدنهم اشدّ واعظم وعظامهم اصلب وعضلاتهم اقوى ولحمهم اكثر مما في النساء كان من الضروري ان يكون زمن نموّهم اطول من زمن نموّهن" وقال كابنيس "ان المرأة اسرع نموًّا وانحطاطاً معاً من الرجل لا تلبث ان تشبّ حتى تهرم وليس بين انتقالها من سن الصبا الى سن الهرم فترةٌ تذكر"

والنموّ السريع دليل على الانحطاط ويرى حسب مباحث دلوني في جميع الاناث كما يمكن تحققه من النظر الى سرعة نموّ اناث الحيوانات الاهلية بالنسبة الى ذكورها . وانما كانت هذه السرعة في النموّ التي تُرى في الحيوانات وفروع البشر السفلى علامة انحطاط لانه يعقبها وقوف النموّ دائمًا . قال بخنر في كتابه الذي عرّبناهُ تحت عنوان شرح بخنر صفحة ٢١ ما نصه "ان في الطبيعة ناموسًا عامًّا وهو ان صغار الحيوانات والقرود والبشر الذين هم من ادنى جنسهم يشابهون اكثر من البالغين في تكوين الجمجمة وقابلية العقل فان صغار القرود خاصّةً يشبهون اطفال البشر جدًّا باستدارة جمجمتهم ولا تتميّز فيهم صفات القرد الاّ مع السن وحينئذٍ تظهر المباينة فتبدو الانخفاضات والبروزات والشكل الزاوي وبروز الوجه عن الجمجمة وكذلك يحصل في الاخلاق فتزداد القرود شراسةً وقساوةً ولا تذعن للتربية كلّما زادت في السن وهكذا ايضاً اولاد السود كما يعلم من روايات يوثق بها فانهم يظهرون في المدارس ذكاء وقابليّةً للتهذيب لا مزيد عليها فاذا بلغوا اشدّهم تخلّقوا باخلاقهم الوحشية وخسروا كل ما اكتسبوهُ بالتعليم كأن لم يكن شيء من ذلك" اعني ان الصفات الجسدية والعقلية تكون مشتركة بين صغار الانواع والفروع في اول ستي الحياة ثم تتباين فيهم بمقدار تباين الانواع والفروع نفسها فيقف نموّ بعضها السافل او يسير في خطهِ ويستمرّ نموّ البعض الآخر المرتقي . والوقوف علامة انحطاط واستمرار النموّ علامة ارتقاء

وفي الجملة فمعظم الفرق بين الرجل والمرأة يكون في الكهولة اي عند منتهى النموّ واقلّه في

سن الصبوة والشيخوخة سواء نظرنا الى البدن كلّه او الى كل عضو من اعضائه فانه لا يوجد فرق ما بين الذكر والانثى في الحياة الجنينية ثم يكون الفرق قليلاً عند الولادة ويبلغ معظمه في الكهولة ثم يتناقص في الشيخوخة

فالطفل يكون اطول من الطفلة عند ما يولدان بسنتيمتر واحد فاذا بلغا منتهى النموّ اي متى صار هو رجلاً وهي امرأة زادها بستة وثمانين ملليمترًا حسب تعديل بعضهم (كواتلت) وباثني عشر سنتيمترًا حسب تعديل غيره (توينار) ثم يميلان للتساوي بعد ذلك لان الرجل يقصر اكثر من المرأة

ولنا تفس النتيجة من مقابلة الوزن فان معدّل وزن الطفل المولود حديثًا ٣٢٥٠ غرامًا والطفلة ٣٠٠٠ غرام اعني ان الذكر يزيد الانثى ٢٥٠ غرامًا وقلّما يفترقان بعد ذلك الى ما بعد السنة الثانية عشرة ثم يزيد هذا الفرق جدًّا برجحان الذكر ويبلغ حسب تعديل بعضهم (كواتلت) من اربعة الى خمسة كيلوغرامات ثم يتناقص في الشيخوخة . وذكر بعضهم أن هذا الفرق بينهما كيلوغرام من سن ٣ الى ٧ و ٦ كيلوغرامات من سن ١٤ الى ٢١ و ٧ من سن ٢١ الى ٢٨ و ١١ من سن ٤١ الى ٥٦ ثم يتناقص الى ٩ من سن ٥٦ الى ٦٣ والى ٨ من سن ٦٣ الى ٧٠

واما حجم الجمجمة فحسب تعديل بعضهم (ليثر زيك) ان دائر جمجمة الذكر عند الولادة اكبر من دائر جمجمة الانثى بسنتيمتر واحد ثم يزيد هذا الفرق بعد البلوغ لاستمرار نموّ جمجمة الرجل ووقوف نموّ جمجمة الانثى بعد ذلك

واما وزن الدماغ (فحسب تعديل كولكر) يزيد دماغ الذكر عن دماغ الانثى باربعين غرامًا عند الولادة و ٥٠ عند سن سنة واحدة و ٧٠ عند سن ٣ سنين و ١١٠ في سن ١٠ و ١٥ من سن ٢٠ الى ٦٠ . ثم يتناقص هذا الفرق من بعد السن المذكور فينقص دماغ الرجل في الهَرَم ٨٤ غرامًا من معدّل وزنه عند منتهى النموّ ودماغ المرأة ٥٩ غرامًا . وهذا الفرق التشريحي برافقه فرق في القوى العاقلة والادبية ومنه يفهم لماذا يشترك الذكر والانثى بالألعاب في سن الحداثة ثم يفترقان كثيرًا في العقليّات في سن البلوغ ثم يتقاربان ثانية في الهَرَم . وعلى هذه النسبة ايضًا يجري باقي الفروقات في شكل العظام والتغذية وتركيب الدم الخ . واما النبض فهو ١٣٦ في الجنين الذكر و ١٣٨ في الجنين الانثى . وذكر بعضهم ان هذا الفرق اي زيادة نبض الانثى على الذكر هو نبضة واحدة من سن ٣ الى ٧ و ٦ نبضات من سن ١٤ الى ٢١ و ٧ من سن ٢١ الى ٢٨ و ١٠ من ٣٥ الى ٤٣ و ١١ في سن ٥٠ ثم ٩ من ٥٦ الى

٦٣ و ٨ من سن ٦٣ الى ٧٠ . ويطول بنا الشرح جدًّا لو اردنا استيفاء باقي الفروقات مفصّلاً لذلك نكتفي منها بما مرّ

والخلاصة مما تقدّم ان الانثى تفوق الذكر في بعض الامور في الاثنتي عشرة سنة الاولى ثم يفوقها الذكر بعد ذلك في الجمعيّات المتمدنة الى منتهى النموّ حيثما يبلغ الفرق معظمه وهذا يكون بين سن ٤٠ و ٥٠ ثم يتناقص هذا الفرق في الشيخوخة والهَرَم

وهذه الملاحظات المتقدّمة المأخوذة من علم مقابلة الحيوان وتشريح الاعضاء ومنافعها تبيّنا لماذا يميل الجنسان اي الذكر والانثى لان يفترقا كلّما صعدا من طبقات البشر السفلى الى العليا . ففي الطبقات السفلى تكون الصفات العقليّة والادبية بين الرجل والمرأة متساوية لذلك كانا كلاهما اقرب الى الاتّفاق من الاختلاف وليس الامر كذلك في الطبقات العليا الرفيعة المدارك فانهُ لما كان فيها الفرق بين الرجل والمرأة عظيمًا كانا اقرب الى الاختلاف لاختلافهما بالافكار والاحساسات والمشارب الخ وهو اكثر في سكان المدن منهُ في سكان القرى وآخذ في التزايد سنةً فسنة كما نبّه الحكماء الى ذلك منذ زمان طويل

على ان زعماء المساواة يدّعون ان هذا الفرق بين الرجل والمرأة جسديًّا وعقليًّا سببهُ عدم تساويهما في الرياضة والتعليم وانهُ اذا تساوت احوالهما المعاشية والتهذيبية تساويا في القوّة والعقل . واذا دقّقنا النظر لا نجد هذا الاعتراض في محلّهِ . ففي العصور الغابرة حين كانت الامم غارقةً في ظلمات الجهل لم يكن احد الجنسين يعلّم اكثر من الآخر وفي هذه الايام نجد في البلدان المتمدنة عددًا وافرًا من الجنسين متروكين على الفطرة بحيث لا يصحّ ان يقال ان هذا الفرق نتيجة التعليم والتهذيب بل اليوم اذا نظرنا الى الفنون التي تعلّمها النساء كما يعلّمها الرجال واكثر منهم ايضًا كفنّ الموسيقى في اوربا فلا نجد من النساء مَن تبزّ كما تبزّ الرجال ومع ان عدد المتعلّمات هذا الفن اكثر من عدد الرجال فلا تجد منهنّ مَن ألّفت فيهِ او استنبطت شيئًا جديدًا بل جميع المؤلّفين من الرجال . وما قيل عن فن الموسيقى يقال ايضًا عن فن التصوير وكذا صناعة الطبخ نفسها فحتى الآن لم يستطع النساء ان يباريْنَ الرجال المتعاطين هذه المهنة مع ان عددهنّ بالنسبة الى عددهم وافرٌ جدًّا والمانع في هذا وسواهُ ليس عدم تساوي الرجل والمرأة بالوسائط بل عدم تساويهما بالقابليات كما ترى في المدارس التي يعلّم فيها الصبيان والبنات معًا فان البنات كما تقدّم يفقنّ الصبيان لغاية سن ١٢ سنة ثم يتقهقرنَ عنهم بعد ذلك مع ان الوسائط واحدة في الحالين وما سبب ذلك الّا لانهنّ من طبعهنّ اضعف منهم قابليّةً والّا لما وجب ان يتأخّرنَ عنهم بعد هذا السن لو كنّ من طبعهنّ قادرات . وسببهنّ الصبيان في

اول سني الحياة دليل على سرعة نموهنّ بالنسبة الى نموّهم وهذه السرعة من علامات الانحطاط كما قلنا في ما تقدّم

والخلاصة من جميع ما تقدّم ان غلبة الانثى على الذكر لا ترى الّا في بعض انواع الحيوانات السفلى او في بعض فروع البشر السفلى ولا يُرى تساويهما الّا في ما كان فوق ذلك قليلاً كما في بعض الانواع الحيوانية والفروع البشرية السافلة وكما في احداث الامم المتمدنة ومشايخهم اذ ان الطرفين يستويان في كل امر واما في الانواع الحيوانية العليا وفي فروع البشر المرتقية وفي منتهى النموّ فالغلبة دائمًا للذكر جسديًّا وعقليًّا وادبيًّا ولا تكون غير ذلك الّا اذا انقلب الموضوع وانعكس المطبوع . وعليه فنطلب في المستقبل ان لا يقدّر لنسائنا ان يتغلّبنَ على رجالنا او يساويهم ولا نظنُّ ان نساءنا يرضينَ غير ما طلبنا بناء على ما عهدنَ من سنن الارتقاء

فهذا ايها السادة نظرٌ عام بوضع المسألة في مقامها الطبيعي ويرشدنا الى الحكم فيها حكمًا صحيحًا عادلاً فلا نحقّرُ المرأة كما فعل شوبنهور الالماني احد فلاسفة هذا العصر حيث جعلها تحت الحيوانات وقال انها من شرّ المخلوقات وهو قول فيلسوف قانط . ولا نبالغ في تعظيمها كما فعل ديدرو الفرنساوي احد فلاسفة العصر الخالي حيث جعلها فوق الرجل وقال ان الذي يتكلّم عنها ينبغي له ان يغطّ قلمه في قوس قزح ويرمّل خطّهُ بغبار اجنحة فراش الحقل وهو تصوّر شاعر غالٍ بل نضعها في مقامها الحقيقي الذي يليق بها والذي جُعلت فيه اعني عضوًا لازمًا للهيئة الاجتماعية تابعةً للرجل في ارتقائه مساعدةً له متمّمة ما نقص من كماله مخفّفة عنه مشاق الحياة الداخلية كما هو يذلّل لها مصاعب الحياة الخارجية حاضنةً اولادها تحت جناحَي حنوّها وتدبيرها عن طبع وتهذيب كما هو يسهر على راحتهم بعين سعيه واقدامه عن سليقة ومعرفة . لا تنازعهُ هي ما لا تجديها المنازعة فيه نفعًا ولا يبخسها هو حقًّا اعترف لها به مقامها في الهيئة الاجتماعية متقاسمين الاعمال كلٌّ منهما في دائرته غير متطاول الى دائرة سواهُ وبذلك يتمّ نظام العائلة البشرية التي هي أمّ الاجتماع الانساني

اسباب الطعوم

الطعوم البسيطة هي الحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة والمعروف ان هذه الطعوم ذاتية اي ان بعض المواد حلوٌ لذاته وبعضها مرٌّ لذاته وهلمّ جرًّا ولكن الاستاذ ممسن الكيماوي اصطنع مادّة اذا وُضعت على مؤخّر اللسان شعر الانسان ان لها طعمًا مرًّا واذا وُضعت على مقدمه شعر ان لها طعمًا حلوًا اي ان طعمها يتغيّر بتغيّر الاعصاب التي تشعر بها وهذا يشبه ان يكون دليلاً على ان الطعم يتوقّف على العصب الذي يشعر به